

(سورة يونس)

{ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }

{ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ {
{ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }

{ الر } إشارة إلى الرحمة التي هي الذات المحمدية لقوله تعالى:

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

{ الأنبياء، الآية: ١٠٧ }، و { الر } ذكرهما { تلك } أي: ما أُشير إليه بهذه الحروف
أركان كتاب الكل ذي الحكمة أو المحكم المتقن تفاصيله أو أقسم بالله باعتبار الهوية
الأحدية جمعاً وباعتبار الصفة الواحدية تفصيلاً في باطن الجبروت وظاهر الرحموت
على ما ذكر أو على أن تلك الآيات المذكورة في السورة

{ آيات الكتاب } ذي الحكمة { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا } إلى آخره، أنكر عجبهم لكون
سنة الله جارية أبداً على هذا الأسلوب في الإحياء على الرجال وإنما كان تعجبهم
لبعدهم عن مقامه وعدم مناسبة حالهم لحاله ومنافاة ما جاء به لما اعتقدوه
{ أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ } أي: سابقة بحسب العناية الأولى عظيمة أو مقاماً
من قربه ليس لأحد مثله خصصهم الله به في الأزل بمحض الاجتباء وإلا لما آمنوا به
{ قال الكافرون } الذين حجبوا عن الله فلم يطلعوا على ظهور صفاته في النفس
المحمدية { إِنَّ هَذَا } الذي جاء به { لسحرٌ مبين }

أي: شيء خارج عن قدرة البشر ليس إلا من عمل الشياطين.

قالوا ذلك لغلبة الشيطنة عليهم واحتجابهم بها عن الله وعبادتهم الشيطان بحيث
لم يصلوا إلى طور من الروحانيات وراءه في القدرة، فلذلك نسبوا ما تجاوز عن حدِّ
البشرية إليه بالطبع. { يدبّر } أمر السموات والأرضين على وفق حكمته بيد قدرته
{ ما من شفيع }

يشفع لأحد بإفاضة كمال وإمداد نور يقربه إلى الله وينجيه من ظلمات النفس ويظهره من رجز صفاتها { إلا من بعد } أن يأذن بموهبة الاستعداد ثم بتوفيق الأسباب { ذلكم } الموصوف بهذه الصفات { الله ربكم } الذي يريكم ويدبر أمركم، فخصوه بالعبادة واعرفوه بهذه الصفات ولا تعبدوا الشيطان ولا تحتجبوا عنه ببعض صفاته، فتنسبوا قوله وفعله إلى الشيطان { أفلا تذكرون } ما في أنفسكم من آياته فتتفكروا فيها وتنزجروا عن الشرك به.

{ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مِّمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ }

{ إليه مرجعكم جميعاً } بالعود إلى عين الجمع المطلق في القيامة الصغرى كما هو الآن أو إلى عين جمع الذات بالفناء فيه عند القيامة الكبرى.

{ وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق } في النشأة الأولى { ثم يُعيدُهُ } في النشأة الثانية { ليجزي } المؤمن والكافر على حسب إيمانهم وعملهم الصالح وكفرهم وعملهم الفاسد وهذا على التأويل الأول، وعلى الثاني: يبدأ الخلق باختفائه وإظهارهم ثم يعيدهم بإفنائهم وظهوره ليجزي الذين آمنوا به وعملوا الصالحات ما يصلحهم للقائه من الأعمال الرافعة لحجبهم المقربة إليهم { بالقسط } بحسب ما بلغوا من المقامات بأعمالهم من مواهبه الحالية والذوقية التي يقتضيها مقامهم وشوقهم، أو ليجزي الذين آمنوا بالإيمان الحقيقي وعملوا بالله الأعمال التي تصلح العباد، أي جزاء بالتكميل بقسطهم أي بسبب عدلهم في زمان الاستقامة أو جزاء بحسب رتبتهم ومقامهم في الاستقامة { والذين } حجبوا في أي مقام كان { لهم شرابٌ من حميم } لجهلهم بما فوقه وشكهم واضطرابهم إذ لو وصلوا إلى اليقين لذاقوا برده { وعذابٌ أليم } من الحرمان والهجران وفقدان روح الوجدان بسبب احتجاجهم.

{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }

{ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ {
إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَأَطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ {
أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ {
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {
دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

{ هو الذي جعل { شمس الروح ضياء الوجود وقمر القلب نوره وقدر مسيره في سلوكه { منازل { ومقامات { لتعلموا عدد { سني مراتبكم وأطواركم في السير إلى الله وفي الله وحساب درجاتكم ومواقع أقدامكم في كل مقام ومرتبة.
{ إن في اخْتِلَافِ { ليل غلبة ظلمة النفس على القلب ونهار إشراق ضوء الروح عليه وما خلق الله في سموات الأرواح وأرض الأجساد { لآيات لقوم يتقون { حجب صفات النفس الأمارة وبلغوا إلى رتبة النفس اللوامة فتعرفوا تلك الآيات.
{ دعواهم فيها { أي: دعاؤهم الاستعدادي في الجنات الثلاث التي يهديهم الله إليها بحسب نور إيمانهم { سُبْحَانَكَ { أي: تنزيهه في الأولى عن الشرك في الأفعال بالبراءة عن حولهم وقوتهم، وفي الثانية: عن الشرك في الصفات بالانسلاخ عن صفاتهم، وفي الثالثة عن الشرك في الوجود بفنائهم { وتحييتهم فيها { أي: تحية بعضهم لبعض في كل مرتبة منها إفاضة أنوار التزكية وإمداد التصفية من بعضهم على بعض، أو تحية الله لهم فيها إشراقات التجليات وإمداد التجريد وإزالة الآفات من الحق تعالى عليهم { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ { أي: آخر ما يقتضي استعداداتهم وسؤال الله تعالى بالطلب والاستفاضة قيامهم بالله في ظهور كمالاته وصفات جلاله وجماله عليهم الذي هو الحمد الحقيقي منه وله وتخصيص ذلك الحمد به مجملاً ثم مفصلاً أولاً باعتبار هويته المطلقة، ثم باعتبار ربوبيته للعالمين.

{ وَكَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لِقْضِي إِيَّهِمْ أَجَلَهُمْ فَندَرُ
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ
ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكِ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
{

{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكِ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ {

{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ {
وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ
هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدَّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَنْتَبِعُ
إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ {
قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ {

{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمُوتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {

{ ولو يعجل الله للناس الشر { إلى آخره، لما كانت الاستعدادات مفطورة على الخير
الإضافي الصوري أو المعنوي بحسب درجاتها في الأزل كان كل دعاء منها وطلب للخير
بتهيئة قابليتها وتصفيتها وشوقها إليه يوجب حصول ذلك له عاجلاً وفيضانه عليه
من المبدأ الفيض الذي هو منبع الخيرات والبركات كقوله تعالى:

{ وَآتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ }

[إبراهيم، الآية: ٣٤] وكلما فاض عليه خير باستحقاقه له لوجود تصفية وتزكية زاد استعداده بانضمام هذا الخير إليه، فصار أقوى وأقبل من الأول فيكون المبدأ تعالى أسرع إجابة له وأكثر إفاضة عليه وعلى هذا يزداد الاستعداد فيزداد الفيض حتى يبلغ مداه وهو معنى تضاعف الحسنات. ومعنى قوله:

{ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا }

[القصص، الآية: ٨٤]. وأما الشرور فليست إلا حجب الاستعداد وموانع القبول وحواجز الفيض، فلما حصلت ما وقع بسببها إلا عدم القبول للخيرات فمُنعت فيضانها وبقي الاستعداد في حجاب ما حصل منها ليس إلا، وإن اقتضى بحسب المناسبة فيضان الشرّ فليس في فيض المبدأ ما يجانسه فلا يفيض عليه شيء من جنسه، وهذا معنى قوله تعالى:

{ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا }

[الأنعام، الآية: ١٦٠]

اللهم إلا إذا أفرط وتجاوز حدّ الرحمة وأزال الاستعداد بالكلية فاناسب الشيطنة واستمدّ من عالمها، كما قال تعالى:

{ هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ نَنْزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آقَاكٍ أَثِيمٌ }

[الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٢]، { لقضي إليهم } لقطع مدى استعدادهم فانقطع مدد الحياة الحقيقية عنهم ومدد الخير عن استعدادهم بالكلية وأزيل إمكان التصفية منه لاقتضائه الشرّ، فلم يصل إليهم بعد ذلك خير صوري ولا معنوي ولكن يهلهم ما بقي فيهم أدنى مسكة من استعدادهم وإمكان قبول لأدنى خير. { فنذر الذين لا يرجون لقاءنا } من جملتهم،

أي: لا يرفعون رأساً من انهماكهم في الشرور ولا يتوقعون نوراً من أنوارنا ولا يتنبهون قط من غفلتهم بالرجوع إلينا وطلب رحمتنا { في طغيانهم } وتماديهم في الشرور يتحيرون وينقطع مدد الخيرات الصورية التي يسألها استعدادهم بلسان حاله عنهم حتى يزول بانغماسهم وانهماكهم في الطبيعيات نور استعدادهم بالكلية لحصول الرين ويحقّ الطمس، فنكسوا على رؤوسهم إلى أسفل سافلين.

{ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } { وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ }

{ وما كان الناس إلا أمة واحدة } على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، متوجهين إلى الوحدة، متورين بنور الهداية الأصلية { فاختلفوا } بمقتضيات النشأة واختلاف الأمزجة والأهوية والعادات والمخالطات.

{ ولولا كلمة سبقت من ربك } أي: قضاء سبق في الأزل بتعيين الآجال والأرزاق وتمادي كل واحد من الشقي والسعيد إلى حيث قدر له فيما يزاوله { لقضي بينهم فيما فيه يختلفون } عاجلاً ومليز السعيد من الشقي، والحق من الباطل من أديانهم ومملهم ولكن حكمة الله اقتضت أن يبلغ كل منهم وجهته التي ولى وجهه إليها بأعماله التي يزاولها هو وإظهار ما خفي في نفسه.

{ وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا مَكْرُونَ }
 { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }

{ وإذا أدقنا الناس رحمة من بعد ضراء } قد مر أن أنواع البلاء من الضراء والبأساء وصنوف الأواء تكسر شرة النفس، وتلطف القلب بكشف حجب صفات النفس وترقيق كثافات الطبع ورفع غشاوات الهوى، فلذا تنزع قلوبهم بالطبع إلى مبدئها في تلك الحالة لرجوعها إلى مقتضى فطرتها حينئذ وعودها إلى نوريتها الأصلية وقوتها الفطرية وميلها إلى العروج الذي هو في سنخها لزوال المانع بل الميل إلى الجهة العلوية والمبادئ النورية مفطور في طباع القوى المملوكية كلها. حتى النفس الحيوانية لو تزكت عن الهيئات البدنية الظلمانية فإن التسفل من العوارض الجسمانية حتى أن البهائم والوحوش إذا اشتدت الحال عليها في أوقات المحل وأيام

الجذب اجتمعت رافعة رؤوسها إلى السماء كأن ملكوتها يشعر بنزول الفيض من الجهة العلوية فتستمدّ منها فكذا إذا توافرت على الناس النعم الظاهرة وتكاملت عليهم الأمداد الطبيعية والمواردات الجسمانية قويت النفس من مدد الجهة السفلية واستطالت قواها بالترفع على القلب وتكاثف الحجاب وغلظ وتسلط الهوى وغلب، وصارت السلطنة للطبيعة الجسمانية، وارتكمت الهيئات البدنية الظلمانية فتشكل القلب بهيئة النفس وقسا وغلظ وطغى، وأبترته النعمة فكفر وعمى ومال إلى الجهة السفلية لبعده عن الهيئة النورية حينئذ.

وبقدر استيلاء النفس على القلب يستولي الوهم على العقل، فتستولي الشيطنة لكون القوة العاقلة أسيرة في قيد الوهم مأمورة له يستعملها في مطالبه ويستسعيها في مآربه من تحصيل لذات النفس وإمدادها من عالم الرجس وتقوية صفاتها بأهب عالم الطبع وعدد مواد الحظ بالفكر، فيحتجب القلب بالرين عن قبول صفات الحق بالكلية، وذلك معنى قوله:

{ إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرًا } بإخفاء القهر الحقيقي في هذا اللطف الصوري وتعبية عذاب نيران الحرمان وحيات هيئات الرذائل والعقارب السود ولباس القطران في هذه الرحمة الظاهرة.

{ إن رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } قد علمت أن الملكوت السماوية تنتقش بكل حادثة تقع في هذا العالم فكل عمل حسن أو قبيح يصدر عن أحد فقد كتب عليه في تلك الألواح وقد اتصل ملكوت كل بدن بتلك المبادئ الملكوتية فمتى هممنا بحسنة أو سيئة ارتسمت صورته في ملكوت أبداننا على سبيل الخاطر أولاً ثم أخذنا في الفكر فيه، فإن استحكمت النقش وانبعثت منه العزيمة حتى امتثلنا الخاطر الأول بالإرادة الجازمة انطبع بإقدامنا على الفعل إلا أنه إن كان حسنة انطبع في الحال في جهة القلب التي تلي الروح ولوح الفؤاد المنور بنوره وكتبته القوة العاقلة العملية التي هي صاحب اليمين من الملكين الموكلين المشار إليهما بقوله تعالى:

{ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشُّمَالِ قَعِيدٌ } {ق، الآية: ١٧}

إذ الفؤاد هو الجانب الأقوى منه وإن كان سيئة لا ينطبع في الحال لبعده الهيئة الظلمانية من القلب وعدم مناسبته إياها بالذات، فإن أدركه التوفيق وتلأأ عليه نور من أنوار الهداية الروحانية ندم واستغفر فمحي عنه، وعفى له، وإن لم يتداركه

بقي متلجلاً حتى أمدته النفس بظلمة صفاتها فاستقرّ في لوح الصدر الذي هو وجه القلب الذي يلي النفس المظلم بظلمة النفس الغالبة عليه في صدور هذا الفعل منه وكتبته القوة المتخيلة التي هي صاحب الشمال إذ هذا الجانب هو الأضعف وهذا هو المراد من قولهم: صاحب الشمال لا يكتب السيئة حتى تمضي ست ساعات فإن استغفر فيها صاحبها لم تكتب، وإن أصرّ كتبه.

{ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِمَّا يَبْغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } { إِمَّا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

{ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

{ إما بغيكم على أنفسكم } إلى آخره، البغي ضد العدل، فكما أن العدل فضيلة شاملة لجميع الفضائل وهيئة وجدانية لها فائضة من نور الوحدة على النفس فالبغي لا يكون إلا عن غاية الانهماك في الرذائل بحيث يستلزمها جميعاً فصاحبها في غاية البعد عن الحق ونهاية الظلمة كما قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة» فهذا قال: { على أنفسكم }، لا على المظلوم لأن المظلوم سعد به وشقى الظالم غاية الشقاء وهو ليس إلا متاع الحياة الدنيا إذ جميع الإفراطات والتفريطات المقابلة للعدالة تمتعت طبيعية ولذات حيوانية تنقضي بانقضاء الحياة الحسية التي مثلها في سرعة الزوال وقلة البقاء هذا المثل الذي مثل به من تزين الأرض بزخرفها من ماء المطر ثم فسادها ببعض الآفات سريعاً قبل الانتفاع بنباتها ثم تتبعها الشقاوة الأبدية والعذاب الأليم الدائم. وفي الحديث: أسرع الخير ثواباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة، لأن صاحبه تتراكم عليه حقوق الناس فلا تحتل عقوبته المهمل الطويل الذي يحتمله حق الله تعالى.

وقد سمعت بعض المشايخ يقول: قلما يموت الظالم حتف أنفه وقلما يبلغ الفاسق أوان الشيخوخة، وذلك لمبارزتهما لله تعالى في هدم النظام المصروف عنايته تعالى إلى ضبطه ومخالفتهما إياه في حكمته وعدله.

{ والله يدعو إلى دار السلام } يدعو الكل إلى دار سلام العالم الروحاني الذي لا آفة فيه ولا نقص ولا فقر ولا فناء بل فيه السلامة عن كل عيب والأمان من كل خوف { ويهدي من يشاء } من جملتهم من أهل الاستعداد { إلى صراط } الوحدة.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } { وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ للذين أحسنوا } أي: جاؤوا بما يحسن به حالهم من خير فعلي أو قولي أو علمي مما هو سبب كمالهم المثوبة { الحسنَى } من الكمال الذي يفيض عليهم بسبب ذلك الخير { وزيادة } مرتبة مما كان قبله بالترقي أو زيادة في استعداد قبول الخيرات والكمالات بانضمام هذا الكمال والنور الفائض عليهم إلى استعدادهم الأول على ما ذكر { ولا يرهق } وجوه قلوبهم غبار من كدورات صفات النفس وقيام غلباتها { ولا ذلّة } من ميل قلوبهم إلى الجهة السفلية.

{ أولئك أصحاب الجنة } التي يقتضيها حالهم وارتقاؤهم من الجنان المذكورة { هم فيها خالدون } { والذين كَسَبُوا } أجناس { السيئات } من أعمال وأقوال وعقائد تحجب استعدادهم عن قبول الكمال { جزاء سيئة مثلهما } من الهيئة التي ارتكبت على قلوبهم من سيئاتهم فمنعتها الصفاء والنور { وترهقهم ذلة } الميل إلى الجهة السفلية { ما لهم من الله من عاصم } يعصمهم من تلك الذلة والخذلان لوجود الحجاب وعدم قبول هذه العصمة لثبوت الكدورة { كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل } لفرط ارتكاب الهيئة المظلمة من الميول الطبيعية والأعمال الرديّة عليها. { أولئك أصحاب النار } التي يقتضيها حالهم في التسفل من نيران الآثار والأفعال.

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ }

فَرَزَيْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ {
 فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ {
 هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ
 وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ
 مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {
 فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ {
 كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {
 قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا
 الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
 إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَّا
 يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {
 وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ {

ويوم نحشرهم جميعاً في المجمع الأكبر عين جمع الوجود المطلق { ثم نقول
 للذين أشركوا { منهم أي: المحبوبين الواقفين مع الغير بالمحبة والطاعة { مكانكم
 { أي: الزموا مكانكم { أنتم وشركاؤكم { ومعناه: وقفوا مع ما وقفوا معه في الموقف
 مع قطع الوصل والأسباب التي هي سبب محبتهم وعبادتهم وتبرء المعبود من
 العابد لانقطاع الآلات البدنية والأغراض الطبيعية التي توجب تلك الوصل وهو
 معنى قوله: { فزينا بينهم { أي: مع كونهم في الموقف معاً فرقنا بينهم في الوجهة
 وذلك عند علو رتبة المعبود ودنو رتبة العابد وتباين حالهما إذا كان المعبود شريفاً
 كالملائكة والمسيح وعزير وأمثالهم ممن له السابقة عند الله كما قال تعالى:

{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ {

{ الأنبياء، الآية: ١٠١}. { وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون { بل تعبدون الشيطان

بطاعتكم إياه وما اخترعتموه في أوهاكم من أباطيل فاسدة وأمانى كاذبة.
 { فكفى بالله شهيداً } إلى آخره، أي: الله يعلم أننا ما أمرناكم بذلك وما أردنا
 عبادتكم إيانا { هنالك } أي: عند ذلك الموقف تختبر وتذوق { كل نفس ما أسلفت
 { في الدنيا } ورددوا إلى الله { في موقف الجزاء بالانقطاع عن الآلهة وانفرادهم عنها
 { مولاهم الحق } المتولي جزاءهم بالعدل والقسط { وصلّ عنهم ما كانوا يفترون }
 من اختراعاتهم وأصول دينهم ومذهبهم وتوهماتهم الكاذبة وأمانهم الباطلة.

{ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

{ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ }

{ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ }

{ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ

وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ

إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ }

{ وما كان هذا القرآن { اختلاقاً } من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه { من
 اللوح المحفوظ } وتفصيل الكتاب { الذي هو الأّم له كقوله تعالى:

{ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ }

{ الزخرف، الآية: 4 } أي: كيف يكون مختلفاً وقد أثبت قبله في كتابين من علم
 مفصلاً كما هو في اللوح المحفوظ ومجمالاً في أم الكتاب الذي هذا تفصيله.

{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه } أي: لما جهلوا كيفية ثبوته في علم الله ونزوله على
 سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقصر علمهم عن ذلك كذبوا به

{ ولما يأتهم تأويله } أي: ظهور ما أشار إليه في مواعيده وأمثاله مما يؤول أمره

وعلمه إليه فلا يمكنهم التكذيب لأنه إذا ظهرت حقائقه لا يمكن لأحد تكذيبه، مثل ذلك التكذيب العظيم { كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ } عاقبتهم لما ظلموا بالتكذيب { ومنهم من يؤمن به } أي: سيؤمن به لرقعة حجابهم { ومنهم من لا يؤمن به } أبداً لغلظ حجابهم { ومنهم من يستمعون إليك } ولكن لا يفهمون إما لعدم الاستعداد في الأصل وإما لرسوخ الهيئات المظلمة الحاجبة لنور الاستعداد فيهم وإما لاجتماع الأمرين كالأصم الذي لا عقل له فلا يسمع ولا يتفطن للإشارة، فكيف يمكن إفهامه.

{ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ }
 { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ }
 { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ }
 { وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ }
 ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ }

{ ومنهم من ينظر إليك } ولكن لا يبصر الحق ولا حقيقتك لأحد الأمرين المذكورين أو كليهما كالأعمى الذي انضم إلى فقدان بصره فقدان البصيرة فلا يبصر ولا يستبصر فكيف تمكن هدايته.

{ إن الله لا يظلم الناس شيئاً } لما ذكر الصمم والعمى اللذين يدلان على عدم استعداد الإدراك أشعر الكلام بوقوع الظلم لوجود الاستعداد لبعض وعدمه لبعض فسلب الظلم عن نفسه لأن عدم الاستعداد في الأصل ليس ظلماً لعدم إمكان ما هو أجود منه بالنسبة إلى خصوصية ذلك وهويته فكان عينه مقتضياً له في رتبة من مراتب الإمكان كما لا يمكن للحمار مع حماريته استعداد الإدراك الإنساني وكان عينه مستعدياً لما هو عليه من الاستعداد الحماري ولا يطلب منه وراء ما في استعدادده فلا ظلم هذا إذا لم يكن في الأصل وأما إذا بطل برسوخ الهيئات المظلمة فلا كلام فيه وكلاهما ظالم لنفسه.

أما الأول فلقصوره في درجات الامكان ونقصانه بالإضافة إلى ما فوقه كقصور الحمار

مثلاً عن الإنسان ونقصانه بالإضافة إليه لا في نفسه فإنه في حد نفسه ليس بقاصر ولا ناقص.

وأما الثاني فظاهر وعلى هذا معنى { أنفسهم يظلمون } ينقصون حظها، أو إن الله لا يظلم الناس شيئاً بأن يطلب منهم ما ليس في استعدادهم فيعاقبهم على ذلك ولكن الناس أنفسهم يظلمون فيستعملون استعداداتهم فيما لم تخلق لأجله. { ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار } لعدم إحساسهم بالحركة المستلزم لذهولهم عن الزمان إذ الذهال عن الحركة ذاهل عن الزمان، فسواء عندهم الساعة الواحدة والدهور المتطاولة { يتعارفون بينهم } بحكم سابقة الصحة وداعية الهوى اللازمة للجنسية الأصلية بدلاً التشاؤم.

ثم إن بقيت الجنسية الأصلية والمناسبة الفطرية لاتحادهم في الوجهة واتفاقهم في المقصد بقي التعارف بينهم، وإن لم يبق بسبب اختلاف الأهواء وتباين الآراء وتفاوت الهيئات المستفادة من لواحق النشأة وعوارض المادة انقلب إلى التناكر { قد خسر الذين كذبوا بقاء الله } لوقوعهم في وحشة التناكر حينئذ واحتجابهم بحجب عاداتهم الفاسقة وهيئات اعتقاداتهم الفاسدة { وما كانوا مهتدين } وبطل نور استعدادهم فلا يهتدون إلى الله ولا إلى التعارف فخشوا مبغوضين مطرودين لا يألفون أنيساً ولا يؤؤن أليفاً.

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ

أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ }

{ أَأَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ }

{ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ

إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ }

{ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ }

{ وَكُوْنَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }
 { أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

{ ولكل أمة رسول } يجانسهم في الأحوال النفسانية ليتمكن بينهم الألفة الموجبة للاستفادة منه ويمكنه النزول إلى مبالغ عقولهم ومراتب فهمهم فيزيكهم بما يصلح أحوالهم ويكشف حجبهم ويعلمهم بما يوجب ترفيهم عن مقاماتهم ويهديهم إلى الله، { فإذا جاء رسولهم قضي بينهم } بهداية من اهتدى منهم وضلالة من ضل وسعادة من سعد وشقاوة من شقي لظهور ذلك بوجوده وطاعة بعضهم إياه لقربه منه وإنكار بعضهم له لبعده عنه { بالقسط } أي: بالعدل الذي هو الغالب على حال النبي لكونه ظاهر توحيده وسيرته وطريقته { وهم لا يظلمون } بنسبة خلاف ما هو حالهم إليهم ومجازاتهم به أو قضي بينهم بإنجاء من اهتدى به وإثابته وإهلاك من ضل وتعذيبه لظهور أسباب ذلك بوجوده.

{ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } إنكار لاحتجابهم عن القيامة وعدم وقوفهم على معناها إذ لو علموا كيفيته بارتفاع حجبهم بالتجرد عن ملابس النفس صدقوهم في ذلك وما أنكروا. { قل لا أملك لنفسي } إلى آخره، درجهم إلى شهود الأفعال بسلب الملك والتأثير عن نفسه ووجوب وقوع ذلك عنه بمشيئة الله ليعرفوا آثار القيامة، ثم لوح إلى أن القيامة الصغرى هي بانقضاء آجالهم المقدرة عند الله بقوله: { لكل أمة أجل } إلى آخره.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }

{ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }
 { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالَ قُلْ }

ءَآلِللهِ اَذِنَ لَكُمْ اَمَّ عَلٰى اِللهِ تَفْتَرُونَ {

{ وَمَا ظَنُّ اَلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلٰى اِللهِ الْكَذِبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

اِنَّ اِللهِ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلٰى النَّاسِ وَلَكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ {

{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ اِلَّا كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهُودًا اِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْاَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا اَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا اَكْبَرَ اِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ {

{ اَلَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اِللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {

{ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } { لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْاٰخِرَةِ لَا تَبْدِيْلَ لِكَلِمَاتِ اِللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ {

{ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة { أي: تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد والإنذار

والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة في العقاب والتحريض على الأعمال الموجبة

للثواب لتعملوا على الخوف والرجاء

{ وشفاء لما في الصدور { أي: القلوب من أمراضها كالشك والنفاق والغل والغش

وأمثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين وتصفيتها لقبول المعارف

والتنوير بنور التوحيد، والتهيئ لتجليات الصفات { وهدى { لأرواحكم إلى الشهود

الذاتي { ورحمة { بإفاضة الكمالات اللائقة بكل مقام من المقامات الثلاث بعد

حصول الاستعداد في مقام النفس بالموعظة ومقام القلب بالتصفية ومقام الروح

بالهداية { للمؤمنين { بالتصديق أولاً ثم باليقين ثانياً ثم بالعيان ثالثاً.

{ قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ { أي: بتوفيقه لقبول في المقامات الثلاثة { وبرحمته { بالمواهب

الخلقية والعلمية والكشفية في المراتب الثلاث فليعتنوا وإن كانوا يفرحون

{ فبذلك فليفرحوا { لا بالأمر الفانية القليلة المقدار، الدنيئة القدر والوقع

{ هو خير مما يجمعون { من الخسائس الفاسدة والمحقرات الزائلة من جملة

الحطام إن كانوا أصحاب دراية وفطنة وأرباب قدر وهمة.

{ قل أرأيتم ما أنزل الله { إلى آخره، أي: أخبروني ما أنزل الله من رزق معنوي

كالحقائق والمعارف والأحوال والمواهب وكالآداب والشرائع والمواعظ والنصائح

{ فجعلتم { بعضه { حراماً { كالقسم الأول { و { بعضه { حلالاً { كالقسم الثاني { قل الله أذن لكم { في الحكم بالتحريم والتحليل { أم على الله تفترون وما ظنّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة { الوسطى بتجرّد القلب عن ملابس النفس وحصول اليقين أو يوم القيامة الكبرى بالتوحيد الذاتي وظهور العيان، أي: لا يبقى ظنهم وليس شيئاً حينئذ أو يوم القيامة الصغرى بالموت وحصول الحرمان أي: يكون ظنهم وبالأوعذاباً حينئذ { إنّ الله لذو فضل على الناس { بصنفي العلمين وإفاضتهما وتوفيق القبول لهما وتهيئة الاستعداد لقبولهما { ولكن أكثرهم لا يشكرون { نعمته فيستعملون ما وهب لهم من الاستعداد والعلوم في تحصيل المنافع الجزئية والمطالب الحسية ويكفرون نعمته فيمنعون عن الزيادة.

{ ألا إن أولياء الله { المستغرقين في عين الهوية الأحادية بفناء الأنية { لا خوف عليهم { إذ لم يبق منهم بقية خافوا بسببها من حرمان ولا غاية وراء ما بلغوا فيخافوا من حجه { ولا هم يحزنون { لامتناع فوات شيء من الكمالات واللذات منهم، فيحزنوا عليه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل من هم؟ فقال:

« هم الذين يذكروا الله برؤيتهم » وهذا رمز لطيف منه عليه السلام. وعن عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله » ، قالوا: يا رسول الله، أخبرنا من هم وما أعمالهم؟ فلعلنا نحبهم. قال: « هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس »

{ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {
 { أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ {
 { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ {
 } قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {
 } قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ {
 } مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
 بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ { } وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذٰكِرِي بآيٰتِ اللَّهِ فَعَلَىٰ
 اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عَمَةً ثُمَّ
 أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ {
 } فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتِكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ
 وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {
 } فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيٰتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ {
 } ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيٰتِنَا فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
 بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ {
 } ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا
 وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ {
 } فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ {
 } قَالَ مُوسَىٰ أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ { }
 قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
 وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ {
 } وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنْتَوِي بِيكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ {

{ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ {
 { فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ
 إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ {
 { وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ {
 { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ
 أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ {
 { وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ {
 { فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {
 { وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {
 { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا مِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {
 { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآءَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا
 يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {
 { قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتِكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {
 { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
 وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {
 { آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {
 { فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لَتَتَّكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ {
 { وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ

{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }
{ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }
{ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ }
{ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ }
{ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }
{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً أَمَنْتُ فَنَفَعَهَا إِجْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ }
{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا }
{ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }
{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ }
{ وَيَجْعَلَ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ }
{ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ }
{ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ }
{ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ }
{ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ }
{ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ }
{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }
{ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }
{ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ }

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ {

{ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أُهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ {

{ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ {

{ ولا يحزنك قولهم { أي: لا تتأثر به فإنه وراءه وشاهد عزة الله وقهره لتنظر إليهم بنظر الفناء وترى أعمالهم وأقوالهم وما يهددونك به كالهباء فمن شاهد قوة الله وعزته يرى كل القوة والعزة لا قوة لأحد ولا حول.

{ هو السميع { لأقوالهم فيك فيجازيهم { العليم { لما ينبغي أن يفعل بهم ثم بين ضعفهم وعجزهم وامتناع غلبتهم عليه بقوله:

{ ألا إن لله من في السموات ومن

في الأرض { كلهم تحت ملكته وتصرفه وقهره لا يقدرون على شيء بغير إذنه ومشيئته وإقداره إياهم { وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء {

وأى شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء،

أي: إذا كان الكل تحت قهره وملكته فما يتبعون من دون الله ليس بشيء ولا تأثير له ولا قوة { إن يتبعون إلا { ما يتوهمونه في ظنهم ويتخيلونه في خيالهم وما هم إلا يقدرّون وجود شيء لا وجود له في الحقيقة.

{ هو الذي جعل لكم { ليل الجسم { لتسكنوا فيه { ونهار الروح لتبصروا به حقائق الأشياء وما تهتدون به إليه { إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون {

كلام الله به، فيفهمون بواطنه وحدوده ويطلعون به على صفاته وأسمائه فيشاهدونه موصوفاً ومتمسماً بها. { قالوا اتخذ الله وكداً { أي: معلولاً يجانسه

{ سُبْحَانَهُ { أنزهه عن مجانسة شيء { هو الغني { الذي وجوده بذاته وبه وجود كل شيء، فكيف يماثله شيء، ومن له الوجود كله فكيف يجانسه شيء.

{ وائل عليهم نبأ نوح { في صحة توكله على الله ونظره إلى قومه وإلى شركائهم بعين الفناء وعدم مبالاته بهم ومكابدهم ليعتبروا به حاله، فإن الأنساء كلهم في ملة

التوحيد والقيام بالله وعدم الالتفات إلى الخلق سواء.
{ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم { أي: إيماناً يقينياً } فعليه توكلوا {
جعل التوكل من لوازم الإسلام وهو إسلام الوجه لله تعالى، ولم يجعل الإسلام من
لوازم الإيمان أي: إن كمل إيمانكم ويقينكم بحيث أثر في نفوسكم وجعلها خاصة
لله فانية فيه لزم التوكل عليه فإن أول مرتبة الفناء هو فناء الأفعال ثم الصفات
ثم الوجود فإن تمّ الفناء لزم التوكل الذي هو فناء الأفعال وإن أُريد الإسلام بمعنى
الانقياد كان شرطاً في التوكل لا ملزوماً له وحينئذ يكون معناه:
إن صح إيمانكم يقيناً فعليه توكلوا بشرط أن لا يكون لكم فعل ولا تتروا لأنفسكم
ولا لغيركم قوة وتأثيراً بل تكونوا منقادين كاملين فإن شرط صحة التوكل فناء بقايا
الأفعال والقوى كما تقول: إن كرهت هذا الشجر فاقلعه إن قدرت، والباقي إلى آخر
السورة بعضه لا يقبل التأويل وبعضه معلوم مما مرّ.